بسم الله الرحمن الرحيم

آية التفويض

١٠ / ١ / ١٤٤٣هـ

إن الحمد لله...

آية لو أخذ بها الناس لكفتهم، هي آية التفويض، وامتلاء القلب بما عند الله، آية قال عنها ابن مسعود: "أكبر آية في القرآن تفوّضًا" وكان يقول عنها: "هي أكثر آية في القرآن فَرَجا"(١).

هذه الآية هي قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴾ الطلاق: ٢ – ٣

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾ الطلاق: ٢ – ١٣

التقوى من أعظم أسباب التيسير، كما أن تركها من أعظم أسباب التعسير، فالمتقي ميسرة عليه أمور دنياه

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/١٤٦).

وآخرتِه، وتارك التقوى وإن يُسِّرت عليه بعض أمور دنياه تعسر عليه من أمور آخرته بحسب ما ترك من التقوى، وتارك التقوى وإن تيسير ما تيسر عليه من أمور الدنيا فلو اتقى الله لكان تيسيرها عليه أتم ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ الطلاق: ٤ فأخبر جل في علاه أنه ييسر على المتقي مالا ييسر على غيره.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ الطلاق: ٢

ومن يتق الله فيما أمره به، وترك ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجًا، مَنْ يبرأ من حوله وقوته بالرجوع إلى الله يجعل له مخرجًا مهما كثرت عليه الخطوب، وضاقت عليه الدروب، وتكالبت عليه الكروب، فإن نجاتها ومفتاحها بيد علام الغيوب.

قال رجل لعمر: ولّني مما ولاك الله.

فقال له عمر: أتقرأ القرآن؟ قال: لا.

قال: فأنا لا أولي من لا يقرأ القرآن.

فتعلم الرجل القرآن رجاء أن يوليه عمر.

فلما قرأ كثيرًا من القرآن تخلف عن عمر فلقيه يومًا فقال له عمر ما أبطأ بك؟

قال له: تعلمت القرآن، فأغناني الله تعالى عن عمر وعن بابه. ثم قرأ الرجل هذه الآيات ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ الطلاق: ٢ - ٣ (١)

﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ الطلاق: ٣

أي: من جهةٍ لا تخطر بباله، ومن حيث لا يرجو بخياله أو لا يأمل بمضائق عقله.

وهذا تقرير عام، وحقيقة دائمة، لأن الرزق ليس بيد الناس ولا بيدك، بل هو كما قال الله﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ الذاريات: ٢٢، وفي السماء رزقكم، فليس بعد هذا الوصف إلا أن يستطلب رزقه رافعًا يديه إلى العلو، ومخاطبًا من قال عن نفسه العلية ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ الحجر: ٢١. فما من شيء إلا عند الله مفاتيحُه: خزائنُ المال، خزائنُ الماء،

(١) تفسير ابن عطية (٥/٣٢٤٠).

خزائنُ التوفيق، خزائن دفع المكروه، وجلب المطلوب، فقط ﴿ فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ﴾ العنكبوت: ١٧

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾

ثم قال الله بعد ذلك مؤملاً مكملاً :

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ الطلاق: ٢ – ٣

فإن توكلت على الله كفاك وتعجلت الراحة والبركة وعافاك، وإن لم تتوكل وكلك إلى عجزك وتسخطك "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ"(١).

ومن تقوى الله أن يفعل الإنسان السبب الموصل للرزق، ففعل الأسباب رجحان العقل، ولاحظ أن الله قدم التقوى والذي منه فعل السبب على التوكل عليه، فقال: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ ثم قال: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ الطلاق: ٢ – ٣

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/٣٣٦٠).

فجعل التوكل بعد التقوى الذي هو قيام الأسباب المأمور بها، فحينئذ إن توكل على الله فهو حسبه، وكما بيَّن في موضع آخر مُقَدمًا التقوى والذي منه فعل السبب على التوكل فقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ المائدة: ١١ [١].

فالتوكل بدون فعل الأسباب المأمور بها عجز محض، فإن كان مشوبًا بنوع من التوكل، فهو توكل عجز، فلا ينبغي للعبد أن يجعل توكله عجزًا، ولا أن يجعل عجزه توكلاً، بل يجعل توكله من جملة الأسباب المأمور بها التي لا يتم المقصود إلا بها كلِّها [٢].

فاللهم اجعلنا ممن خافك واتقاك أريته النور، واجعلنا من توكل عليك ورجا ما عندك فأمنته من الشرور.

---

(١) انظر: زاد المعاد (٢/٣٣٠).

(٢) انظر: المرجع السابق (٢/٣٣١).

الخطبة الثانية: الحمد لله.

بعد أن ذكر الله أن من اتقاه نصره وإن كان بين فكي الأسد، وفي مرمى الرماح، وأن من اتقى الله عجَّل له إزالة الغُمّة، وجعل له من مخارج الأبواب ما يرى التيسير والتسهيل، وأن من اتقى الله جعل له من ثمرات ذلك: الرزق الذي يأتيه كما يأتي الجنين في ظلمات الرحم، بل ويأتيه من حيث لم يحتسب ويُقدِّر ، ولم يخطر على باله ويفكر، قال الله مبينًا قوته على إيصال ذلك كلِّه للمتقي:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾ الطلاق: ٣

أي منفذ قضاياه وأحكامه في خلقه بما يريده ويشاؤه، فإذا أراد الله إيصال الخير لعبد فلن يمنع عنه ذلك ملوك الأرض وجنودُهم، "وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ" رواه الترمذي.

نعم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾ فاملأ قلبك بها، وسلِّ فؤادك بيقينها، وأحسن الظن بكريم وعدها وموعوها.

ثم قال الله تعالى مبينًا علمه وخبرته:

﴿ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ الطلاق: ٣

قد جعل الله لكل شيء قدْرًا، وهذا فيه من المواساة العظيمة ما فيه، فإنك أيها المتقي إن طال بك البلاء، وتكاثرت عليك اللواء، فإن لذلك قدْرًا ينتهي إليه، وأجلاً يأتي بعده الفرج تؤوي إليه كما قال الكريم ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء نهاية ولابد، ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ يوسف: ١٨

﴿ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ يَبْلُغُ ما يريد، لا يفوته مراد ولا يُعجِزه مطلوب.

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ الرعد: ٨

فاللهم زدنا يقينًا بشرعك، وإيمانًا بكتابك

عاصم بن عبدالله بن محمد آل حمد